المقدمـــــة:

يُعد اعتماد الأطفال الصغار على الآخرين في المساعدة شرطًا ضروريًا للنمو المبكر نظرًا لما يكون عليه الطفل من عجز نسبي، ومع تقدم العمر بالطفل تبدأ عملية الانفصال تدريجيًا وتتجه نحو الاستقلالية التي تُعتبر من الأمور الهامة لنمو الشخصية السوية. أي إن الفرد يمر بفترات نمو سيكولوجي متعددة تتوقف على عمره ونضجه وخبراته واستعداداته النفسية وقدراته العقلية.

وفي الوقت الحاضر يعاني الشباب من مشكلات نفسية وأخلاقية تظهر في تسطح العلاقات الاجتماعية بينهم وعدم قدرتهم على الاعتماد على أنفسهم، وتظهر أيضًا في عجزهم عن اتخاذ قرارات تخص مستقبلهم، وحياتهم علاوة على حالات الانحراف المختلفة التي نلاحظها بشكل واضح في مجتمعنا حاليا، ولعل هذه المظاهر يمكن إرجاعها إلى مراحل الطفولة المبكرة التي مر بها هؤلاء الشباب والتي عانت من ظروف تربوية ونفسية غير سليمة ساعدت في تكوين هذه الشخصية الضعيفة، ولعل جوانب الاستقلال في السلوك وتنمية التقويم الذاتي لدى الفرد تُعتبر من أهم العوامل المسئولة عن نمو الاستقلالية لديه.

«ويلعب قلق الانفصال دورًا هامًا في اعتماد الطفل على نفسه وثقته فيها وقدرته على مسايرة النظم داخل المدرسة حيث يُعتبر قلق انفصال الطفل عن أمه من الأسباب الرئيسية التي قد تؤدي إلى الخواف المدرسي عنده، فالطفل في هذه الحالة يكون شديد الارتباط والتعلق بأمه ويعتمد عليها في كثير من شئونه، وفي المقابل فإن أمهات هؤلاء الأطفال في هذه الحالة يتجاوبن مع أطفالهن بشكل يجعل سلوكهن دعمًا قويًا لسلوك الأطفال نحوهن. فهن يعملن على مساعدة أطفالهن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الاعتماد عليهن في تجهيز وإشباع كل حاجاتهم، فالطفل الذي يعاني من الخواف المدرسي باستطاعته أن يُشبع حاجاته النفسية بنفسه ولكنه يفضل أن تقوم أمه بذلك نيابة عنه حتى يكسب حبها ويظل بجانبها معتمداً عليها والخوف من أن يكون بعيداً عن الأسرة وبخاصة عن الأم يسيطر عليه ويظهر له عدم قدرته وضعفه على تحقيق حاجاته

بنفسه، فالعلاقة بين الطفل وأمه تأخذ دائماً طابع الاعتماد المفرط من جانب الطفل والرغبة المفرطة في المساعدة من جانب الأم، هذه العلاقة الاتكالية المفرطة تعمل على خلق القلق عند الطفل في حالة اضطراره إلى الانفصال عن أمه لأي سبب من الأسباب» (جاسم الكندري، راشد سهل، ١٩٩٢: ٤٤)*.

وعلى الرغم من أن قلق الانفصال والخواف المدرسي ليس من موضوعات الدراسة الحالية ولكنهما يُعتبرا مؤشراً هاماً على مدى استقلالية الطفل أو اعتماده في التعامل مع الظروف التي تفرضها المدرسة عليه.

أي أن منشأ الاستقلالية يبدأ منذ الطفولة الأولى وفي داخل الأسرة ويعتمد بدرجة كبيرة على أساليب وطرق التربية داخل هذه الأسرة.

ولقد تناولت أبحاث ودراسات عديدة أبعاد مراحل النمو السيكولوجي بالدراسة، وكان لمرحلة الطفولة نصيب واضح في تلك الدراسات.

فنرى إريكسون Erikson قد حدد أبعاد النمو السيكولوجي من الاعتمادية إلى الاستقلالية لدى الأطفال في المراحل الأربع الأولى من مراحل النمو الثمانية لتطور الشخصية، وتتمثل هذه المراحل الأربع في: الثقة Trust، الاستقلال Autonomy، المبادرة Initiative، المثابرة Industry في (هنري وماير، ١٩٧٠: ٣٦ – ٨٣).

وقد اتفقت باريت (Barrett, 1978: 9) مع إريكسون في اعتبار أن هذه الأبعاد هي المكونات الأساسية للاستقلالية.

أما بلوم (Bloom, 1980: 12) فقد أوضح أن النمو السيكولوجي للأطفال يتمثل في الانفصال الجزئي عن الوالدين Separation ambivalence، إثبات الذات المعرفية Cognitively Provingto self، الإدراك العاطفي لعملية الانفصال Emotional realization of separtion process، إضفاء الصفة الذاتية (التوحد مع معايير الجماعة) Internalization of important gratifications – وأخيراً الاستقلالية Independence

* تشير الباحثة إلى أنه يتم عرض مراجع البحث من خلال ذكر اسم الباحث أو المؤلف داخل القوسين يليه سنة النشر بعد الفاصلة، ثم رقم أو أرقام الصفحات والتي تلي النقطتين.

وتمثل تلك المراحل الخمس تصوره لتطور ونمو الاستقلالية.

وقد أكد بياچيه (Piagett, 1932: 35) على هذا المعنى حيث أشار إلى أن أولى مراحل التحول السيكولوچي لدى الطفل تبدو في محاولة التخلص من الاعتمادية تدريجيًا حتى تصل في نهايتها إلى الاستقلالية.

وقد أشار هيثرز (Heathers, 1955: 277 - 291) إلى أن أقصى درجات الاستقلالية عند الفرد تظهر عند ما يُشبع الفرد جميع احتياجاته ويصبح في حالة استغناء عن اللجوء للآخرين.

ويبدو أن هذا التعريف السابق لا يضع للجانب الاجتماعي في الاستقلالية اهتمامًا يتناسب مع ما لهذا الجانب من تأثير في استقلالية الفرد لأن الاستقلالية تنمو فيه من خلال تفاعلات الفرد مع الآخرين في المجتمع. كما أن الاستقلالية من منظور الدراسة الحالية تركز على أن الاستقلالية تتمثل في قدرة الفرد على تحمل مسئوليته واتخاذ قراراته بصورة يرضى عنها الفرد وترضى عنها الجماعة وتعمل على إشباع حاجاته المادية والمعنوية بطرق وأساليب مشروعة.

ويشير هافجهرست Havighurst في (فاروق عبدالسلام وآخرون، ١٩٨٣: ٤٤) إلى أن الاستقلالية مطلب من أهم مطالب النمو ففيه يحرر الطفل نفسه من الالتصاق بوالديه، وبالتدريج يصبح قادرًا على أن يصنع خططه بنفسه ويختار أنشطته وأصدقاءه.

ولقد اتفق كل من عبدالعزيز القوصى (١٩٨١: ٣٣٥)، تشكرنج Chickerng، كونجر Conger، كونز Coons، زكريا Zaccaria In (Robinette, 1991: 17) على أن الاستقلالية هي أحد المطالب الرئيسية التي ينبغي أن يمر بها تطور المجتمع وذلك بصدد الوصول للنضج على مستوى الفرد والمجتمع حتى تصل إلى المستويات الحضارية الراقية في التعاملات الإنسانية.

ويؤكد كريتش وكريتشفيلد Krech & Crutchfield (١٩٧٤: ٢٢٦) على أن سلوك الفرد في تعامله مع الآخرين يُوجه بواسطة سماته الشخصية وأن التفاعل بين هذه

السمات يحدد ويغير إلى حد كبير السلوك الذي يتبعه الفرد في تعامله مع الغير في المواقف الاجتماعية الكثيرة المتنوعة، وإن سمات شخصية الفرد في تعامله مع الغير هي المحصلة النهائية لخصائص خبراته المتنوعة.

وتشير نظرية التعلم الاجتماعي التي صاغها كل من بندورا Bandura (١٩٦٩)، روتـــــر Rotter (١٩٥٤) إلى أن السلوك البشـري مُوجه ومُحدد من خلال المواقف الاجتماعية التي يتفاعل فيها الفرد مع البيئة، ولما كان سلوك الفرد هو تفاعل ديناميكي بين أسلوب تنشئته وخبراته التي يستمدها من البيئة المحيطة به، لذا فإن للبيئة أثرها الفعال في تنمية الاستقلالية لدى الأفراد وذلك من خلال الأسرة والمؤسسات التعليمية والإعلامية والمواقف الاجتماعية للفرد، ويؤكد على هذا المعنى دراسات كل من كريتش وكريتشفيلد (١٩٧٤) وبندورا (١٩٦٩) وروتر (١٩٥٤) وروبانيت (١٩٩١).

وفي دراسة سابقة للباحثة الحالية (١٩٨٦) توصلت فيها إلى أن هناك علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين الاستقلالية لدى الأطفال وبين أساليب المعاملة الوالدية، حيث أتضح أن الاستقلالية ترتفع مع أساليب المعاملة الوالدية السوية – كما أظهرت الدراسة نتيجة قد تبدو غير متوقعة حيث توصلت إلى وجود ارتباط ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين أسلوب المعاملة الوالدية غير السوية ألا وهو الإهمال وبين الاستقلالية، وإن كان يجب النظر إلى هذه النتيجة بحذر نظرًا لخطورة أبعادها ويمكن تفسيرها في ضوء حدود هذا البحث من عينة وأدوات ومن هنا ظهرت مشكلة الدراسة الحالية في البحث عن الوسائل التي يمكن من خلالها تنمية الاستقلالية لدى الأطفال باعتبارها مطلبًا حيويًا لهم في الوقت الحاضر.

مشكلة البحث:

في إطار الدراسة الحالية أجرى العديد من الدراسات من أهمها دراسة بيللر Beller (١٩٥٥)* والتي تهدف إلى تحديد العلاقة بين الاعتمادية والاستقلالية والتي توصلت إلى أنه يوجد ارتباط سالب نو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) بين الاعتمادية والاستقلالية.

ودراسة رشدي ڤام وآخرون (١٩٥٩) بهدف التعرف على الاتجاهات الوالدية في تربية الأطفال في ضوء المتغيرات الطبقية ومدى تأثيرها على سلوك الطفل وشخصيته مستقبلاً وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هو أن درجة اهتمام آباء الطبقة المتوسطة بمواقف الاستقلال لدى أطفالهم أكبر من اهتمام آباء الطبقة الدنيا به لدى أطفالهم ودراسة بيكر Baker (١٩٦٦) والتي كانت تهدف إلى الكشف عن أنماط الشخصية لدى الأطفال الذين يمثلون بيئات اجتماعية واقتصادية مختلفة والتي توصلت نتائجها إلى أن أطفال المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض غير نشيطين وأكثر اعتمادية من أطفال المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط والمرتفع ودراسة ماير Meyer (١٩٧٠) كانت تهدف إلى بحث تطور إدراك المسئولية الذاتية للنجاح أو الفشل من وجهة نظر والدي الطفل وعلاقتها بالتدريب على الاستقلالية والتي كان من أهم نتائجها أن هناك ارتباطًا ذا دلالة إحصائية بين الأسر في المستوى الأعلى للمسئولية وبين مطالب الاستقلالية. ودراسة أمل عواد معروف (١٩٧٢) والتي تهدف إلى التعرف على أثر كل من المستوى التعليمي للأم والطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة وعمل الأم على تنشئة الطفل وتوصلت إلى أن الأمهات غير المتعلمات كن أكثر ميلاً إلى تشجيع أطفالهن على الاستقلال من الأمهات المتعلمات وأن الأمهات من الطبقة الدنيا كن أكثر ميلاً إلى تشجيع أطفالهن على الاستقلال من أمهات الطبقتين المتوسطة والعليا.

ودراسة أنعام سيد عبدالجواد (١٩٧٤) والتي تهدف إلى التعرف على أساليب التنشئة الاجتماعية لدى مجموعة من الأمهات العاملات المتعلمات وغير المتعلمات وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن هناك اختلافات بين الأمهات العاملات

---

* سوف يتم تناول هذه الدراسات بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من الدراسة الحالية.

المتعلمات وغير العاملات المتعلمات في تعويد الطفل على خلع ملابسه وارتدائها وتنظيمها بنفسه كموقف من المواقف التي تعود الأم فيها طفلها على الاستقلال. وتشير دراسة جورمان Gorman (١٩٨١) إلى تحديد أثر عمل الأم على مستويات التحصيل ودافعيته والتدريب على الاستقلالية لدى أطفال المرحلة الابتدائية وكان من أهم نتائجها أن أطفال الأمهات العاملات لديهم جوانب تدريب على الاستقلالية أكثر من أطفال الأمهات غير العاملات، ودراسة واشنجتون Washington (١٩٨٢) وكانت تهدف إلى تفسير تطور الدافع لتجنب النجاح وتوقعات الآباء لاستقلالية أبنائهم وقد توصلت الدراسة إلى أن آباء الأطفال ذوي الدافع المرتفع لتجنب النجاح يتوقعون استقلالية منخفضة لأطفالهم. كما كانت دراسة فؤاد الشورى (١٩٨٢) تهدف إلى التعرف على العلاقة بين السلوك الاستقلالي والابتكار لدى الأطفال وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك ارتباطاً ذا دلالة إحصائية بين القدرة على التفكير الابتكاري والدرجة الكلية للسلوك الاستقلالي وأن الأولاد المبتكرين المستقلين يتصفون بأنهم أكثر تقبلاً لذواتهم ولديهم اتجاه مرتفع نحو حث الوالدين لهم على الاستقلال وتتصف البنات المبتكرات المستقلات بأنهن أقل إحساساً باحباطات الطفولة ولديهن اتجاه مرتفع نحو حث الوالدين لهن على الاستقلال. ودراسة أمل عواد معروف (١٩٨٤) والتي كانت تهدف إلى دراسة أساليب التطبيع الاجتماعي من حيث علاقاتها باستقلالية الطفل وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها أن التدريب في سن مبكرة يساعد على نمو الاستقلالية مقارنة بالتدريب في سن متأخرة.

وهدفت دراسة كوسنس Cousins (١٩٨٥) إلى التمييز بين التشجيع الوالدي لكل من السلوك المعتمد والسلوك الاستقلالي لدى أطفالهم وعلاقته بمستوي التحصيل الدراسي وكان من أهم نتائج الدراسة أن التشجيع على السلوك الاستقلالي يرتبط ارتباطاً موجباً بارتفاع مستوى التحصيل الدراسي لدى أطفالهم كذلك دراسة نجاح عبدالشهيد (١٩٨٦) والتي كانت تهدف إلى التعرف على العلاقة بين الاتجاهات الوالدية في التنشئة وبين استقلالية الطفل وتوصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين الاتجاهات الوالدية السوية وبين الاستقلالية وأن هناك علاقة سالبة بين الاتجاهات الوالدية اللاسوية وبين الاستقلالية. وكانت تهدف دراسة آرمس Arms (١٩٨٨) إلى

التعرف على العلاقة بين صفات الأم واستقلالية أطفالهن وتوصلت الدراسة إلى أنه كلما ازدادت درجة اكتئاب الأمهات ترتفع درجة اعتمادية أطفالهن. وكذلك دراسة باريت Barrett (١٩٧٨) التي كانت تهدف إلى التعرف على ما إذا كان هناك انخفاض في مستوى الاستقلالية لدى الأطفال فيما بين سن الروضة والصف الرابع الابتدائي وتوصلت الدراسة إلى نتائج كان من أهمها أن هناك انخفاضًا في السلوك الاستقلالي لدى أطفال الروضة أكثر مما لدى أطفال الصف الرابع الابتدائي، وأنه لا توجد ظروف محددة لتفاعل التلميذ مع المعلم لاكتساب السلوك الاستقلالي في حجرة الدراسة. كما هدفت دراسة ويشيرن ونوفيكي Wichern & Nowicki (١٩٧٩) إلى التدريب على ممارسة الاستقلالية لدى الأطفال وتوصلا من خلال نتائج الدراسة إلى أن أمهات الأطفال المقيمين بالمدرسة (داخلي) أظهرن قدراً أكبر من التدريب والسماح للأطفال بممارسة الاستقلالية عن أمهات الأطفال المقيمين خارج المدرسة. ودراسة فلورز Flowers (١٩٩١) والتي كانت تهدف إلى زيادة سلوك الثقة بالنفس لدى التلاميذ منخفضي الثقة بالنفس وتوصلت نتائج الدراسة إلى إمكانية تحسين وزيادة مستوى الثقة بالنفس لدى الأطفال من خلال البرامج الإرشادية التي تستخدم التشكيل بالأنموذج.

ومن العرض السابق يتضح ما يلي:

١ – أكدت بعض الدراسات السابقة على أهمية السلوك الاستقلالي كمظهر هام من مظاهر الشخصية السوية.

٢ – أوضحت بعض الدراسات العوامل المؤثرة في السلوك الاستقلالي.

٣ – تناولت بعض الدراسات إمكانية تنمية بعض مكونات السلوك الاستقلالي باستخدام فنيات مختلفة.

٤ – ندرة الدراسات(في حدود علم الباحثة)التي تناولت التدريب بهدف تنمية الاستقلالية في العالم بشكل عام وفي مجتمعنا المصري بشكل خاص ومن هنا ظهرت مشكلة

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى ما يلي:

١ – الإجابة على تساؤلات الدراسة الحالية.

٢ – تحديد أهم العوامل التي تسهم في تكوين السلوك الاستقلالي لدى الطفل.

٣ – إعداد وتصميم أداة مناسبة لقياس مستوى السلوك الاستقلالي لدى الأطفال.

٤ – تصميم واستخدام برنامج تدريبي لتنمية بعض جوانب السلوك الاستقلالي لدى الأطفال.

أهمية البحث:

تتبلور أهمية البحث فيما يلي:

١ – ندرة الدراسات العربية (في حدود علم الباحثة) التي تناولت بالدراسة والتحليل السلوك الاستقلالي لدى الأطفال بصفة عامة.

٢ – إعداد برنامج لتنمية السلوك الاستقلالي لدى الأطفال الذين يعانون من انخفاض مستواه لديهم.

٣ – إن الفترة العمرية التي يركز عليها البحث الحالي (مرحلة الطفولة المتأخرة) هي من أنسب المراحل التي يمكن تناولها لمساعدة الأطفال على تنمية السلوك الاستقلالي لديهم، وبخاصة وأنهم مقبلون على مرحلة حاسمة (مرحلة المراهقة) بما تتضمنه هذه المرحلة من ضرورة إعداد الفرد لاعتماده على نفسه ومدى حاجته الملحة إلى الاستقلالية في أفكاره وسلوكه وتصرفاته.

٤ – إنه في ضوء ما تسفر عنه نتائج هذا البحث ومدى فاعلية البرنامج التدريبي ما يدفع

ويشجع جهود الباحثين والمتخصصين لإعداد برامج تدريبية أخرى على نسق البرنامج الحالي والتي من شأنها تطور وتحسن شكل وأساليب التنشئة الاجتماعية بما يرفع مستوى الاستقلالية في مختلف المؤسسات الاجتماعية التي يُعهد إليها بتربية الأطفال ورعايتهم.

مصطلحات البحث:

الاستقلالية Independence *

يمكن تعريف الاستقلالية على أنها تظهر في السلوك الفعال الإيجابي للفرد الذي لا يخرج عن معايير المجتمع، ويدفع الفرد للأمام، ويجعله يميل للمبادأة والمثابرة والوصول إلى تحقيق أهدافه، واتخاذ قراراته وقدرته على تحمل المسئولية في المواقف الاجتماعية المختلفة مع البُعد عن الانفرادية والانعزال.

وتُعرف الاستقلالية إجرائيًا بدرجة الفرد على مقياس السلوك الاستقلالي المستخدم في هذا البحث.

فروض البحث:

قامت الباحثة بوضع فرض عام لبحثها مؤداه:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي مجموع درجات أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على مقياس السلوك الاستقلالي لصالح المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي.

وينبثق من هذا الفرض العام خمسة فروض فرعية هي:

١ – توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي مجموع درجات أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على بُعد تأكيد الذات لصالح المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي.

---

* تحدد مكونات السلوك الاستقلالى فى الاطار النظرى وعند بناء البرنامج .

٢ – توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي مجموع درجات أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على بُعد اتخاذ القرار لصالح المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي.

٣ – توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي مجموع درجات أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على بُعد تحمل المسئولية لصالح المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي.

٤ – توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي مجموع درجات أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على بُعد الاعتماد والثقة بالنفس لصالح المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي.

٥ – لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي مجموع درجات أفراد المجموعة التجريبية في كل من التطبيق البعدي وبعد المتابعة على الأبعاد (تأكيد الذات – اتخاذ القرار – تحمل المسئولية – الاعتماد على النفس والثقة بها) كمكونات للسلوك الاستقلالي.

عينة البحث:

تكونت عينة البحث الحالي من (٥٦) تلميذًا وتلميذة من تلاميذ الصف الخامس الابتدائي اختيروا عشوائيًا من بين تلاميذ أربع مدارس ابتدائية بمدينة الباجور بمحافظة المنوفية، من مستوى اجتماعي واقتصادي متقارب تراوحت أعمارهم ما بين (١١ – ١٢) سنة، قسموا إلى مجموعتين متساويتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة.

أدوات البحث:

تم استخدام مجموعة من الأدوات هي:

١ – مقياس السلوك الاستقلالي لدى الأطفال. إعداد الباحثة

٢ – اختبار الذكاء المصور . إعداد أحمد زكي صالح

٣ – برنامج تدريبي لتنمية بعض جوانب السلوك الاستقلالي لدى الأطفال. إعداد الباحثة

إجراءات البحث:

سارت إجراءات البحث على النحو التالي:

١ – اختيار عينة البحث من (٤) مدارس بمدينة الباجور محافظة المنوفية بلغ قوامها (٥٦) تلميذًا و تلميذة.

٢ – طُبق اختبار الذكاء المصور على أفراد العينة وذلك لمجانسة أفراد العينة في مستوى الذكاء.

٣ – قُسمت العينة عشوائيًا إلى مجموعتين متساويتين في العدد إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة بلغ قوام كل منها (٢٨) تلميذًا وتلميذة.

٤ – طبق مقياس السلوك الاستقلالي بعد حساب صدقه وثباته على المجموعتين التجريبية والضابطة – ثم تم حساب الفروق بين المجموعتين حيث كانت قيمة (ت) بين المجموعتين في الأربع مكونات للسلوك الاستقلالي غير دالة.

٥ – طُبق البرنامج التدريبي بعد حساب صدقه وثباته على المجموعة التجريبية ثم حُسبت الفروق بعد التطبيق بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

التطور التاريخي لمفهوم الاستقلالية:

تعتبر ماريا منتسوري Maria Mantssori ١٩٢٠، كرشنشتاير Kershensteiner ١٩٣٣، فيرير Ferrier ١٩٤٠ في (عبدالله عبدالدائم، ١٩٨٤: ٥٢٤: ٥٢٩) من أوائل المهتمين بدراسة الاستقلالية.

ومن أشهر من تبعهم في ذلك المضمار جون ديوي J. Dewey ١٩٤٧ (المرجع السابق) وماريان ونتربوطوم M. Winterbottom ١٩٥٣ (In (Atkinson, 1958: 453. وترى منتسوري أن الاستقلالية هي أن يعلِّم الطفل نفسه بنفسه من خلال إتاحة الفرصة للطفل في أن يعمل بنفسه ويصوب خطأه بنفسه ويعتمد على نفسه في تفكيره فيحل المسألة بنفسه ويحكم بصوابها أو خطئها بنفسه ولا تتدخل المرشدة إلا إذا احتاج إليها الطفل أو استعان بها.

وتتلخص مبادئ منتسوري في وجوب ترك الطفل حرًا يفعل ما يميل إليه لأنه إذا صُدَّ ومنع على الدوام عن كل عمل يريد أن يعمله وأصبح آلة في يد غيره لا يعمل إلا بإرشاده وأوامره ونواهيه – انخفض استقلاله، وفي النهاية يكون رجلاً عاجزًا لا يستطيع الاعتماد على نفسه في القيام بأي عمل ولا يتحمل ما يجب عليه أن يحمله في الحياة من تبعات. وإذا تم تنشئته على الاعتماد على غيره دائمًا يشعر بالعجز وتردد في الحكم واحتاج إلى من يقوده ويمنحه الرأي الأخير في (محمد عطية الأبراشي، ١٩٤٣: ١٠٨) واستخدمت منتسوري أسلوبًا معينًا في مدرستها واستطاعت من خلاله تقليل نسبة الاعتمادية لدى تلاميذها بوضعهم في المواقف الاجتماعية المألوفة وتركهم يتصرفون على سجيتهم، ويمكن وصف مدرسة منتسوري فيما يلي:

هي مدرسة يزيد تلاميذها على ٣٠٠ تلميذ بين الثالثة والحادية عشرة من العمر وهذه المدرسة عبارة عن صفوف لا يفصل بينها إلا أثاث قليل الأرتفاع أو صف من الزهور ومن وراء هذا الحاجز يستطيع التلاميذ أن يلاحظوا ما يجري إلى جانبهم ومُتاح للتلاميذ الصغار أن يمضوا فيها بيسر إلى صف التلاميذ الذين يكبرونهم سنًا، كما هو

مُتاح أيضًا أن يمضي التلاميذ الكبار إلى صف الصغار. وفي هذه المدرسة يتعلم التلميذ أن يقرأ ويحسب بواسطة عضلاته وعينيه وذهنه على السواء. إنه يعمل ويلمس الأشياء التي توضع تحت تصرفه ويتفحص النباتات ويشاهدها تنمو، وتعتمد منتسوري في تدريب الطفل على الاستقلالية على الألعاب التثقيفية، فصندوق الإسطوانات في نظرها يراقب خطأ الطفل لأن لكل فتحة إسطوانة خاصة فإذا وضعت كل إسطوانة في فتحتها وضعًا صحيحًا كان عمل الطفل صائبًا وإذا أخطأ في وضع إحداها كان مخطئًا، وبتكرار مثل هذه الألعاب يمكن تنمية الاستقلالية.. واهتم كرشنشتاير باستقلالية الطفل، حيث يرى أن تكوين الشخصية يتم عبر جهد متصل يقود الطفل من مملكة القيم النسبية إلى مملكة القيم المطلقة، ويقترح كرشنشتاير في (عبدالله عبد الدائم، ١٩٨٤: ٦١٢ – ٦١٣) أن ذلك يتم بوسائل عديدة أهمها إثارة اهتمامات الطفل بأشكالها المختلفة ويقسم كرشنشتاير تلك الاهتمامات إلى ما يلي:

١ – الاهتمامات المباشرة: وهي التي تثيرها أشياء مقصودة لذاتها كالألعاب والأعمال اليدوية والفكرية.

٢ – الاهتمامات غير المباشرة: وهي التي يثيرها موضوع معين يُتخذ وسيلة لبلوغ غاية معينة.

ويستطرد في قوله بأن الاهتمام الحقيقي يفترض الوحدة بين الموضوع الذي يثير الاهتمام وبين النزعات الحركية لدى الأنا لأنه لا ينتظر أن يوقظه الموضوع بل يندفع إلى البحث عنه.

ويتحدث كرشنشتاير عن أربعة مراحل في دراسته للاهتمامات وهي:

المرحلة الأولى هي مرحلة الطفولة الأولى أو مرحلة الترويض (وتحتل ما بين السنة الأولى والثانية من العمر).

المرحلة الثانية هي مرحلة الطفولة الثانية أو مرحلة اللعب (وتحتل ما بين السنة الثالثة والسابعة من العمر).

المرحلة الثالثة هي مرحلة الاهتمامات الأنانية بالعمل (وتحتل ما بين السنة الثامنة والرابعة عشرة من العمر).

المرحلة الرابعة هي مرحلة الاهتمامات الموضوعية بالعمل (وتحتل سن المراهقة) ولذلك فهو يولي أهمية خاصة لاهتمامات الطفل ويجعل التعليم يدور حول تلك الاهتمامات وينادي باستقلالية الطفل ويدعو إلى عدم الفصل بين النشاط اليدوي والنشاط الفكري لدى الفرد ويحرص على أن يكون الطفل هو معلم نفسه وصانع معرفته.

وينادي فيرير أيضا باستقلالية الطفل، وفي نظره أن تطبيق الاستقلال يفرض أن يتوقف المرء ليفكر وينظر للمستقبل في ضوء الماضي وليتدبر ويناقش الحلول المختلفة للمشكلات التي تواجهه، ويستطرد في قوله بأن لا استقلال في سلوك لا يوجهه العقل. ويرى أن كلمة القيادة الذاتية Self government من الممكن استخدامها بدلاً من كلمة الاستقلال على أساس أن كليهما تستلزم السيطرة على الذات وعلى هذا يقول أنصار التربية الحديثة إن النظام القائم على السلطة قد يروض ولكنه لا يهذب ولا يربى، ولايكفي أن يكون موافقًا للأوامر ومنساقًا لها بل عليه أن يختار قواعد سلوكه بإرادته احترامًا منه وحبًا لها، في (عبدالله عبدالدائم، ١٩٨٤: ٥٢٥ - ٦١٩).

ومما سبق نستطيع أن نقف على بدايات دراسة مفهوم الاستقلالية التي بدأت عام (١٩٢٠)م، وهذا يعني أنه مفهوم ليس حديثًا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو أن هناك فوارق زمنية بين كل بحث وآخر، ففي حدود اطلاع وعلم الباحثة أن من أوائل الأبحاث كان بحث ماريا منتسوري(١٩٢٠)ثم بحث كرشنشتاير(١٩٣٣)ثم بحث فيرير (١٩٤٠)ثم جون ديوي(١٩٤٧) ثم ونتربوطوم(١٩٥٣)ثم هيثرز وبيللر(١٩٥٥). وهذا يبين لنا أن الفترات الزمنية بين الأبحاث التي تم تداولها عالميًا مسافات متباينة مما يعني أن مفهوم الاستقلالية رغم أهميته لم يحظ بالقدر الكافي من الدراسات والأبحاث مثل غيره من المفاهيم الأخرى التي نالت حظها من الدراسة والبحث.

ومن خلال استقراء الدراسات التي تناولت تنمية الاستقلالية اتضح للباحثة أن

أشهر أسلوب أُتبع لتنمية الاستقلالية لدى الطفل كان أسلوب منتسوري وهذا يشير إلى نقطتين أساسيتين:

أولهما: أن الاستقلالية لم يتم دراستها في عام ١٩٢٠م بل سبق ذلك أبحاث ودراسات لم يكن في استطاعة الباحثة الحصول عليها.

ثانيهما: أنه طالما استخدم أسلوب البرنامج (ماريا منتسوري) فهذا أسلوب متقدم لتنمية الاستقلالية وكونه ظهر عام ١٩٢٠م فهذا يعني تقدم دراسات الاستقلالية رغم قلتها وإن كان هذا استنتاج يحتاج إلى بحث وتدعيم.

ولهذا فإن موضوع الاستقلالية يُعتبر موضوعًا هامًا في حياة الأفراد وفي البحث والدراسة بالرغم من ندرة البحوث فيه وإلى إمكانية استخدام البرامج التدريبية في تنمية السلوك الاستقلالي.

تعريف الاستقلالية: Independence

تعددت التعريفات الخاصة بمفهوم الاستقلالية وإن لم تختلف اختلافًا كبيرًا في تناولها للجوانب التي تتضمنها الاستقلالية وسوف يتم عرض بعض هذه التعريفات التي حظى بها هذا المفهوم يعقبها التعريف الذي تتبناه الباحثة في البحث الحالي كما يلي:

يعرف هيثرز (Heathers, 1955: 278) الاستقلالية بأنها «تعني مقاومة الارتباك وتأكيد الذات في تحديد نشاطات اللعب ومقاومة التدخل خلال اللعب».

ويعرفها بيللر (Beller, 1955: 26) بأنها «القدرة على المبادأة والتغلب على العقبات والمثابرة والرضا عن العمل والرغبة من جانب الفرد في عمل الأشياء بنفسه».

وتم تعريفها في قاموس انجلش وانجلش (English & English, 1958: 258) بأنها «اتجاه الفرد للاعتماد على نفسه ومقاومة تدخل الآخرين في شئونه» .

كما تُعرف في قاموس التربية وعلم النفس التربوي (فريد جبرائيل وآخرون،

١٩٦٠: ٢٩) بأنها «عدم الحاجة للاعتماد على الآخرين للمعونة أو العناية أو التوجيه من قبل الغير».

وعرفها شايفر (Schaefer, 1960: 106) بأنها «تصرف الطفل وحده دون تدخل من أحد في نشاطه وأن يتخذ قراراته الخاصة بمفرده».

وكذلك يُعرفها هارتوب (Hartup, 1963: 334) بأنها تعني «الاعتماد على النفس وتأكيد الذات ويُظهر الفرد المبادأة والكفاح من أجل الإنجاز».

ويعرفها فاخر عاقل (١٩٦٨: ٦٦) بأنها «قدرة الفرد على أن يميز بنفسه بين ما يجوز وما لا يجوز وأن يقرر هو نفسه واجباته ويعرف حقوقه ويتصرف بوحي من ضميره، ويستطيع التحرر من معونة الغير».

أما كونجر (Conger, 1970: 451) فيعرفها بأنها «رغبة الفرد في اتخاذ قراراته بنفسه سواء بالاستماع أو بدون الاستماع إلى أفكار الآخرين».

كما يعرفها سيدني جورارد (١٩٧٣: ١٧٦) بأنها «قيام الشخص باتخاذ القرارات بنفسه وبإرادته الخاصة وليس الخضوع لإرادة الآخرين».

وتعرفها ايشاكوا وفوجي وارا (Ishikawa & Fujiwara,1973: 12) بأنها «تصرف الفرد دون مساعدة من قبل الآخرين وأن ينجز الأشياء التي تهمه».

ويعرفها كذلك كريتش وكريتشفيلد (Krech & Cratchfield, 1970: 226) بأنها «ميل الفرد إلى أن يخطط لنفسه وأن يؤدي عمله بطريقته الخاصة، ولا يبحث دائما عن تأييد أو مشورة من الغير، ويشعر انفعاليًا بالاكتفاء الذاتي».

كما يعرفها سيد عثمان (١٩٧٤: ٩) من خلال ما يقرره الفرد بنفسه ولنفسه مسايراً حكمه وعقيدته وتصرفه من غير خضوع مستسلم للحاجة ولا تمرد جامح عليها أي أن موقفه يتميز بإيجابيه أكبر منه في حالة اللامسايرة.

بينما يعرفها عبدالسلام عبدالغفار (١٩٧٧: ٣٤٤) بأنها «تظهر في اعتقاد الفرد أنه من حقه عمل ما يود أن يعمله وأن يكون حرًا في اتخاذ قراراته وأن يكون له أسلوبه

الخاص في عمله، وألا يتقيد باتباع ما هو مقبول اجتماعيًا ولا يتبع القواعد والقوانين بدقة، وألا يعمل ما يرضي عنه الآخرون، وألا ينصاع لمن يحيطون به».

أما هول ولندزي (١٩٧٨: ٢٣٣) فيعرفها بأنها تتمثل في «الحصول على الحرية والتخلص من المعوقات والانطلاق من الحصار ومقاومة التقيد وتحاشي النشاطات التي تفرضها السلطات المسيطرة أو التخلي عنها، والاستقلال والحرية في التصرف وفقًا للدافع وعدم الارتباط وعدم المسئولية إزاء العرف».

ويعرفها جابر عبدالحميد، سليمان الخضري (١٩٧٨: ٤٨٨) بأنها عبارة عن «أن يكون الفرد حرًا في حركاته، وأن يتجنب المواقف التي يتوقع أن يعمل فيها بطريقة تقليدية، وأن يكون مستقلاً في تقرير ما يريد أن يعمل، وأن يقول رأيه في الأشياء المختلفة، وأن يعمل بطريقته دون اعتبار لما يراه الآخرون».

كذلك يعرفها أحمد عبدالخالق (١٩٧٩: ١٤٥) في ضوء تعريف عدم المسايرة Non Conformity والاكتفاء الذاتي Self - Sufficiency بأنها «الاعتماد على النفس وتقرير الشخص لأموره بنفسه».

ويعرفها عبدالعزيز القوصي (١٩٨١: ٣٣٦) بأنها «تكوين شخص يعتمد على نفسه في الفكر والعمل، ويتصل بالمجتمع ويشعر بمسئوليته نحوه وبحقوقه عليه، وينسجم مع المجتمع بحيث لا يتلاشى فيه بل يحتفظ بفرديته، ويشعر بالأمن الشخصي، ويتصف بروح الإقدام والشعور بالثقة بالنفس».

وعرفها أيضًا عبدالله عبدالدائم (١٩٨٤: ٥٢٤) بأنها «تتحدد في الشخص الذي يرفض الخضوع للقواعد والقوانين – بل هو الذي يضع قانونه بنفسه ولا يخضع لقانون غيره فهو أشد استمساكًا بالقانون والنظام لأنه يؤمن بهما إيمانًا ذاتيًا ولا يفرضان عليه فرضًا.

أما ماسترز In (Corsini, 1987: 50) Masters فيعرفها بأنها «تدل على عدم الاعتماد على الآخرين وأنها تشير في الواقع إلى نقص الاعتمادية وليس عكسها وأنها

تُفهم على أنها (سمة شخصية) حينما ينطوي سلوك الفرد كله على الاستقلال في كل المواقف الحياتية».

ويعرفها فاريز Phares (Corsini, 1987: 573) In بأنها «العمل الأكثر توافقًا مع احتياجات الفرد وإدراكاته وأحكامه في أكثر من استجابة لمتطلبات البيئة أو التأثير على الأشخاص الآخرين».

يتضح من التعريفات السابقة الخاصة بمصطلح الاستقلالية إنها تكاد تتفق فيما بينها على الجوانب الأساسية التي يمكن أن يظهر عليها السلوك الاستقلالي فمعظم هذه التعريفات تؤكد على أن الفرد المستقل يتسم بالحرية في العمل وتأكيد الذات والثقة بالنفس وعدم المسايرة والاعتماد على النفس واتخاذ القرارات وتحمل المسئولية وهي الجوانب الأساسية التي اعتمدت الباحثة الحالية عليها في تعريفها الإجرائي للسلوك الاستقلالي وعلى أساسها قامت بإعداد المقياس المستخدم في الدراسة الحالية.

ولكنها تكاد لا تتفق مع تعريف كونجر (١٩٧٠) للاستقلالية من حيث إن «اتخاذ الفرد لقراراته بنفسه سواء بالاستماع أو بدون الاستماع إلى أفكار الآخرين» حيث إن هذا لا يعني الاستقلالية كسلوك إيجابي لكونه لا يتفق والمعايير الاجتماعية كما لا تتفق مع تعريف هول ولندزي (١٩٧٨)، عبدالسلام عبدالغفار (١٩٧٧) للاستقلالية حيث إن «عدم المسئولية إزاء العرف وعدم اتباع الفرد للقواعد والقوانين «يُعتبر خروجًا على القانون وتهديدًا لكيان المجتمع، وهذا ما لا نهدف إليه في تكوين السلوك الاستقلالي الحقيقي للفرد المرتبط بالعُرف الاجتماعي».

ويرى فاريز Phares (1987: 573) أنه يمكن أن يُنظر إلى الشخصية المستقلة من خلال وجهات نظر مختلفة، إما الدافعية أو نمط تنظيم الذات، فإذا ما نظرنا إليها من خلال الدافعية مثلاً نجد أن الفرد يتوقع أن يرى نمونجًا أو شكلاً من التصميم الذي يجزم أو يتكامل في أنواع متعددة من الأفعال.

أما إذا نظرنا إليها من خلال نمط تنظيم الذات فإننا نجد أن الفرد يتوقع أن

يشاهد نوعاً من الاستراتيجية التي تحكم الكيفية التي يكافح بها الفرد في سبيل تحقيق أنواع عديدة ومختلفة من الأهداف.

وعلى أي الأحوال فإن الاستقلالية تُعد كدافع عندما تكون مرتبطة ببحث الفرد عن مكاسبه من العمل بحرية ودون تدخل من الآخرين أو البيئة. أما عن الاستقلالية كتنظيم فإنها تعبر عن الاعتماد على النفس والاستغراق في اتخاذ القرارات الذاتية.

ويشير ماسترز (١٩٧٨) إلى أن الظروف والأحوال تعكس تأثيراتها في كيفية حدوث السلوك الفعلي لها أيًا كانت الاستقلالية دافعًا أو اتجاهًا أو سمة.

وخلصت دراسات كل من هيثرز (Heathers, 1955)، تشكرنج (Chickerng, 1969)، هافجرست (Havighurst, 1981)، روبانيت (Robinette, 1991) إلى أن الاستقلالية تتمثل في ثلاث نماذج رئيسية هي:

١ – الاستقلالية الوسيلية – استقلالية الأداء.

٢ – الاستقلالية العاطفية.

٣ – استقلالية اتخاذ القرار.

أولا: الاستقلالية الوسيلية – استقلالية الأداء: Instrumental Independence

والمقصود بالاستقلالية الوسيلية أو استقلالية الأداء هو مزاولة النشاطات والتغلب على المشاكل بدون طلب المساعدة، وأن يكون الفرد إيجابيًا من أجل تحقيق الهدف أو إشباع الدافع.

أي أن الطفل يظهر استقلالاً وسيليًا عندما يتغلب على المصاعب التي تقابله خلال الأنشطة التي يقوم بها دون أن يطلب أي مساعدة.

وتُعتبر الدرجة التي يُصر الطفل عندها على أداء المهمة دون طلب المساعدة هي الدليل على استقلاليته الوسيلية – وهذا هو المعيار الذي سوف تستخدمه الباحثة عند تنفيذ الجانب التطبيقي في برنامج البحث الحالي.

ثانيًا: الاستقلالية العاطفية: Emotional Independence

والمقصود بالاستقلالية العاطفية هي عدم حاجة الشخص للطمأنة العاطفية، الاستحسان - ويمكن تحديده بشكل أدق ليشتمل على تأكيد الذات وهي تتمثل في حاجة الشخص إلى اتقان العمل وتميزه عن الآخرين.

والاستقلالية العاطفية تفترض عدم وجود أي احتياجات خاصة لاستقلال الفرد بالرغم من وجود هذه الحاجات في حالة تأكيد الذات.

وفيما يلي مثال يوضح ذلك:

إن حاجة الشخص للاتقان والبراعة في عمل ما، هو أهم وأكثر من حاجته لإتمام ذلك العمل. وتلك تُعتبر هي الحاجة للثقة بالنفس على أساس أداء الشخص، وأن السلوك الصادر والذي يُعبر عن الاعتماد على النفس وتأكيد الذات لا يستخدم كوسيلة للحصول على الاستحسان.

ويظهر ذلك عندما يقوم شخص بشيء ما، من أجل جذب الانتباه أو المدح، فإن هذا يُعد نوعًا من الاعتمادية العاطفية أكثر منه استقلالية.

ثالثا: استقلالية اتخاذ القرار: Decisional Independence

والمقصود باستقلالية اتخاذ القرار هي قدرة الفرد على اتخاذ قراراته وتحمل مسئولية اتخاذها بنفسه.

ومما سبق يمكن تعريف الاستقلالية Independence بأنها «سلوك فعال، إيجابي، لايخرج عن معايير المجتمع، ويدفع الفرد للأمام، ويجعله يميل للمبادأة والمثابرة، والوصول إلى تحقيق أهدافه، واتخاذ قراراته، وتحمل المسئولية في المواقف الاجتماعية المختلفة».

ويتكون السلوك الاستقلالي في البحث الحالي من الجوانب أو المكونات الآتية:

١ - تأكيد الذات ٢ - اتخاذ القرار

٣ - تحمل المسئولية ٤ - الاعتماد على النفس والثقة بها.